الإشارات القرآنية للإدراكات البشرية

Quranic References to Human Perceptions

الباحث

م. د. رشيد محمود رشيد

Dr. Rashid Mahmood Rashid

كلية العلوم الإسلامية / جامعة الموصل

College of Islamic Sciences

University of Mosul

ملخص البحث

يظن العلماء الغربيون أن كثيرًا من الاكتشافات تمت عن طريق الصدفة ولكن بنفس الوقت يثبت العلم أن الصدفة لا محل لها في قوانين العلم والمنطق، لذا فالبحث محاولة للاستدلال على الالهام أو الوحي الإلهي لمعاونة الانسان على إصلاح ما أفسدته يداه في الوجود.

ويشير القرآن الكريم في مواضع كثيرة إلى دور التدبير الرباني الذي يؤيد به البشرية - بغض النظر عن إيمانهم أو كفرهم- ويتفضل عليهم بنعمة الاكتشاف لما فيه قيام واستقامة الحياة على هذه الأرض.

الكلمات المفتاحية: (الاشارات القرانية، الإدراك , البشري، السرنديبية).

Abstract:

Western scientists often believe that many discoveries were made by chance. However, science itself demonstrates that chance has no place in the laws of science and logic. This research is an attempt to deduce the role of divine inspiration or revelation in assisting humanity to repair what their own hands have corrupted in existence.

The Quran, in many verses, refers to the role of divine guidance that supports humanity, whether they believe or disbelieve, and grants them the blessing of discovery, which is essential for the continuity and balance of life on this Earth.

Keywords: (Quranic references, human perception, serendipity).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله اللطيف بعباده الغني عن خلقه والصلاة والسلام على الهادي البشير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وَبعدُ؛ فإنَّ الباري سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأفاض عليه من نعمه التي لا تُعَدُّ ولا تُحصى، ومن جملة النِّعم نعمة العقل، ولكن فهم هذه النِّعمة استشكل على كثيرٍ من الناس قديماً وحديثاً وانقسم الناس على طيف عريض بين من سلب العقل كل إدراكاته وجعله مُجَرَّد حاوية للأفكار الخارجيَّة وغير منتِج، وبين من أَلَّهَ العقلَ وجعله الوجود المطلق والحاكم الأوحد على الوجود وما سواه وهمٌ وخيالٌ.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم يجد تدخل الوحي والغيب في تعليم الإنسان كثيراً من الأسس الماديَّة التي بُنيت عليها الحضارة البشريَّة، وفي هذا البحث سأتناول جانباً من هذه العلوم الماديَّة.

مجال البحث:

يتعلَّقُ البحث بكل معرفة بشريَّة ماديَّة (قابلة للقياس) كان مصدرها الغيب

إشكالات البحث:

- هل الملاحظة والقياس هما السبيل الوحيد للمعرفة الماديَّة؟
- ما دور الغيب في تعليم الإنسان من المعرفة الماديَّة التي يتمتَّعُ بها؟
- ما الأدلة على تدخل الوحي في تعليم الإنسان العلوم الماديَّة؟

فرضيات البحث:

أهم الإدراكات البشريَّة تتمثل باللُّغة؛ لأنها أهم وسيلة إدراكية، وهي في أصلها وحي إلهي. كمثال: لو ولد إنسان ونشأ في محيطٍ من الحيوانات سوف يصدر نفس تلك الأصوات التي تصدرها الحيوانات ولن يستطيع اكتشاف لغةٍ آدميةٍ مهما طال الزمن.

خطة البحث:

وتشتمل خطة البحث على تمهيد بينت فيه معاني بعض المفاهيم والمصطلحات ذات الصلة بالبحث، ومبحثان: المبحث الأول جعلته في أصل المعرفة البشريَّة بين الذاتيَّة والتعليم الربانيّ، أمَّا المبحث الثاني فكان عن العلم بين التجربة والصدفة أو ما يعرف بالسرنديبية، وخاتمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها.

وهـذا بتوفيق اللّـه ما يسر لي جمعه ومعرفته، وأسـاله تعالى أن يكون خالصًا لوجهه الكريم ويتقبله مني ويبارك فيه، والصلاة والسلام على نبي الهدى سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تمهيد
تعريفاتٌ مهمَّةٌ

العلم:

ذكر ابن فارس في تعريف العلم لغة: «العين واللام الميم أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على أثر بالشيء يتميز به عن غيره»[١]، وفي الاصطلاح هو (معرفة الشيء على ما هو به)[٢].

واصل العلم فيما أدرك ذاته وما يعرف وجوده وجنسه وعلته وكيفيته، أما المعرفة فتقال فيما تدرك آثاره وإن لم يدرك ذاته، لذا يُقال عرفت الله ولا يُقال علمت الله.[٣]

الإدراك:

في اللغة: مصدر درك «والدال والراء والكاف أصل واحد وهو لحوق الشيء بالشيء ووصوله إليه»[٤]، فالإدراك: بلوغ الشيء أو تمامه ويكون بالحس.

وفي اصطلاح المتكلِّمين: ما يتجلَّى به المُدرَك تجلي الظهور.[٥] هو عند الفلاسفة: عبارة عن تمثل حقيقة الشيء عند العقل أو عند المدرِك، فهو عبارة عن كمالٍ حاصلٍ في النفس؛ يحدث منه مزيد كشف على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر، وهو بهذا مرادف للعلم[٦].

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. (٤/ ١٠٩).

(٢) كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت (٦١٠).

(٣) ينظر: معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري [كان حَيًّا ٣٩٥ هـ]، وجزءًا من كتاب «فروق اللغات» لنور الدين بن نعمة الله الجزائري (ت ١١٥٨ هـ)مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قُمّ)، ١٤١٢ هـ (١/ ٥٠٢).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٦٩).

(٥) ينظر: الفروق اللغوية (١/ ٩١).

(٦) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ١٢٩)؛ المعجم الفلسفي، صليبا (١/ ٥٣).

وقيل هو: كمالٌ يحصلُ به مزيدُ كشفٍ على ما يحصل في النفس من الشيء المعلوم من جهة التعقل بالبرهان أو الخبر، وهو معنى يخلقه الله تعالى في الإنسان، فيجوز أن يخلق الله في الحاسة وفي غيرها زيادة كشف بالعلم القائم في النفس، من غير أن يوجب حدوثا ولا نقصًا فلا يستبعد أن يتعلق الإدراك بما لا يتعلَّق به في مجاري العادات(١).

الوحي:

يقول ابن فارس: (الواو والحاء والحرف المعتلّ: أصلٌ يدلُّ على إلقاء عِلْمٍ في إخفاء أو غيره إلى غيرك وكل ما في باب الوحي فراجعٌ إلى هذا الأصل. والوَحِيّ: السَّريع: والوَحَى: الصَّوت)(٢).

فالوحي إلقاء أي عِلْمٍ إلى غيرك في إخفاء أو غيره. وكلُّ ما ألقيتَه إلى غيرك حتَّى علِمَهُ فهو وَحيٌ، سواء كان بالإشارة أو الكِتابَة أو المَكْتُوب أو الرِسالَة أو الالْهام أو الكَلام الخَفِيّ.(٣) ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آَمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آَمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴾(٤) وقوله جل جلاله: ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾(٥).

الإلهام:

وله تعريفاتٌ عِدة متقاربةٌ، منها: (أن يلقي الله في النفس أمراً يبعث العبد على الفعل أو الترك)(٦).

---

(١) ينظر: كتاب الكليات (٦٦).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٦ / ٩٣).

(٣) ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة –بيروت، ط٨، ٢٠٠٥ م (١ /١٣٤٢). وينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ (١٥ / ٣٧٩).

(٤) سورة المائدة : آية ١١١

(٥) سورة النحل : آية ٦٨ -٦٩.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م (٤/٢٨٢).

وقال زكريا الأنصاري رحمه الله: (الإلهام إلقاء معنى في القلب يطمئن له الصدر يَخصُّ اللهُ به بعض أصفيائه، وليس بحجة من غير معصوم)[1]

فالخواطر التي ترد على الإنسان، قد تكون من الإلهام الذي يلقيه الله في روع العبد، وقد تكون من الشيطان، كما تكون من حديث النفس.

وروى البخاري- رحمه الله- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنْ الْأُمَمِ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَر)[2].

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (وهذا المقام الذي أشار إليه هو الإلهام، وهو من جملة أصناف الوحي إلى الأنبياء، ولكن لم أر في شيء من الأحاديث وصفه بما وصفت به الرؤيا: أنه جزء من النبوة)[3].

العقل:

يراد بالعقل في اللغة معانٍ عدّة ، منها: التثبت في الأمور والإمساك والامتناع والشدّ والحبس، يقال: عُقِلت النَّاقة; إذا مُنعت من السَّير، ويقال: عقلَ (بفتح اللام) الرجل إذا كفّ نفسه وشدّها عن المعاصي، وقيل: العاقل: الذي يحبس نفسه ويردّها عن هواها[4].

وورد أيضاً في هذا الخصوص: أنّ العقل سُمي عقلاً؛ لأنّه يعقل - أي يحبس - صاحبه عن التورّط في المهالك. فالعقل - إذن - قيدٌ يحول دون انطلاق الإنسان فيما يشينه أو يضرّ به أو ما لا يليق به، أي أنّه بطبيعته يعقل النفس عن التصرّف العشوائيِّ الناتج من مقتضي الطبع.

هذه هي المعاني اللغويَّة الرئيسة التي تكاد تُجمِعُ عليها كتب اللغة حول العقل، وتندرج تحتها - تقريباً - جميع المعاني الأخرى التي ذكرت لهذا المفهوم.

---

(١) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ) تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤١١هـ (ص٦).

(٢) صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، و دار اليمامة – دمشق، ط٥، ١٩٩٣م، كتاب فضائل الصحابة، باب: مناقب عمر بن الخطاب، برقم(٣٤٨٦)(٣/ ١٣٤٩) .

(٣) فتح الباري بشرح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢ هـ) محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب ، المكتبة السلفية – مصر، ط السلفية، ١٣٨٠ - ١٣٩٠هـ (١٢/ ٣٨٨).

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة، (٤/ ٦٩)؛ لسان العرب (١١/ ٤٥٨).

وأمَّا «العقل» في المعني الاصطلاحي، فمهما اختلفت أو تداخلت التعاريف حوله بحسب جهة وجوده هل هو النفس أم هو جوهر وآثاره من حيث تدبر وتفكر الإنسان أو استوائه أو مسؤوليته تكليفه[1]، فإنّها تلتقي جميعاً أمام نقطة مشتركة هي اعتبار العقل العنصر الأساس في الفعل المعرفيّ البشريّ، وهو القاعدة الأولى التي ينطلق منها الإنسان متأملًا وناظراً ومستنبطاً ومدركاً لحقائق الأشياء، وهو الوسيلة الوحيدة للاهتداء إلي الصواب، ولكن شرط عدم التأثير عليه من عناصر أخرى كالهوى النفسي أو الزيغ الشيطاني.

(١) ينظر: التعريفات (١٥١). المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م (٢/ ٨٤).

المبحث الأول
أصل المعرفة البشريَّة بين العقل و الوحي

المطلب الأول: أصل الإدراك الإنسانيِّ

يولد الإنسان خالي الذهن من أي علم أو معرفة، يقول تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، والنكرة في سياق النفي تفيد العموم (لا تعلمون شيئًا)، (والمعنى: جعل لكم هذه الأشياء آلات تحصَّلون بها العلم والمعرفة بأن تحسوا بمشاعركم جزئيات الأشياء وتدركوا بأفئدتكم-أي بعقولكم- وتنتبهوا لما بينها من المشاركات والمباينات بتكرير الإحساس فيحصل لكم علوم بديهية تتمكنون بالنظر فيها من تحصيل العلوم الكسبية)[2]. فالطفلُ حين يولد لا علم له بشيء ثم تأخذ الحواسّ تنقل الأشياء تدريجاً فَجَعل اللهُ في الطفل آلاتِ الإدراك وأصول التفكُّر، وأوجد في البشر مدركات السمع والبصر والعقل، أي كوّنها في الناس حتى بلغت مبلغ كمالها الذي ينتهي بها إلى علم أشياءٍ كثيرةٍ[3].

فالآلات والوسائل المركبة في الإنسان هي طريقه لمعرفة السنن الإلهيَّة والقوانين الكونيَّة عندما يستعملها بوجهها الصحيح من المشاهدة والنظر والتجربة والاستقراء، للتعرف على النظام الذي يحكم الموجودات في هذا الكون والحوادث الماديَّة[4].

أمَّا ما يُظهِرُه من ردود أفعالٍ بعد الولادة: من السكون إلى أمِّه، والتقام ثديها والرضاعة فأمور -غرائزية- مغروسة فيه، يشترك فيها مع باقي الحيوانات الثديّة.

---

(١) سورة النحل: آية ٧٨.

(٢) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ (٧/ ٤٣٨).

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، أو تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ (١٤/ ٢٣٢).

(٤) ينظر: السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م (ص١٠).

المطلب الثاني: التعليم الربَّانيِّ للإنسان

إنَّ الإنسانَ هو المخلوق الوحيد من عالم الشهود صاحب التاريخ، فتناقل الأخبار من الأجداد إلى الأحفاد وحفظ تلك الأخبار باختلاف الوسائل من الحفظ القلبيِّ والكتابيِّ وغيرها هو ما يصنع التاريخ، وكل ذلك ناشئ من تميز الإنسان باللُّغة، لذا وجب على أوَّل البشر أن يتعلَّم من غيره تلك المهارة، فكان تعليم الله تعالى لآدم عليه السلام الأسماء كلها، قال سبحانه وتعلى: ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[١].

وقد اختُلِف في طبيعة الأسماء ولكن ما يعنينا أنَّ آدم عليه السلام عُلِّم أساس اللُّغة أو القدرة على استنباطها[٢] وحفظها ثم استطاع تعليم غيره ما تعلَّم، ﴿ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾[٣]، وهذه المقدرة أهلته أن يستغني بنفسه لتعليم أفراد جنسه، فكانت «زوجه» أول متعلم من الجنس البشريِّ تعلَّم من فرد من جنسه، إذ لا وجود لأي إشارة عن وحي الله لحواء، فيكون الاحتمال الأقرب والممكن هو تعليم آدم عليه السلام لحواء[٤].

لكنَّ الوظائف العقليَّة لا تقتصر على الحفظ، فالإنسان له تميُّزٌ بالقدرة على الاختيار أيضاً، وذلك يحتاج حُكماً عقليَّاً معتمداً إرادةً ذاتيَّةً.

لذا كان اختبار الشجرة المحرَّمة من الجنَّة، ومعلوم أنه لم يخلق لها-أي للجنَّة- وإنَّما خلق للخلافة في الأرض كما اخبر الباري الملائكة ابتداءً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٥] ، وبعد زلَّتهما واتباعهما وسوسة الشيطان استطاعا أن يخصفا من ورق الجنَّة ليسترا سوآتهما والتي تعد بحق أول براءة اختراع للجنس

(١) سورة البقرة: آية ٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م (١ /٢٨٢)

(٣) سورة البقرة: آية ٣٣.

(٤) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت: ٥٩٧هـ) تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٢٢هـ (١/ ٥٣)؛ مدارك التنزيل وحقائق التأويل «تفسير النسفي»، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ) تحقيق يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب- بيروت، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م (١/ ٧٨).

(٥) سورة البقرة: جزء من الآية ٣٠.

البشري، ولا يخفى الترابط بين معنى الجنَّة والتي تدل على (الستر والتستر. فالجنَّة ما يصير إليه المسلمون في الآخرة، وهو ثواب مستور عنهم اليوم. والجنَّة البستان، وهو ذاك لأنَّ الشَّجر بورقه يستر)[١]، وبين مراد آدم عليه السلام وزوجه الستر لمّا بدت لهما سوآتهما.

ثم كان من أول ما أنزل الباري تعالى هو اللِّباس لستر بني آدم، ﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾[٢] فبين تعالى أنَّه أنزل كلَّ ما يحتاجون إليه في الدين والدنيا ومن جملتها اللِّباس الذي يُحتاج إليه في الدين والدنيا[٣].

والإنزال: نقل الجسم من علوٍّ إلى سفل ويطلق على تذليل الأمر الصَّعب كما يقال: نزلوا على حكم فلان؛ لأنَّ الأمر الصَّعب يتخيل صعب المنال كالمعتصم بقمم الجبال[٤].

وأَنزل الله نِعمه على الخَلْق: أَعطاها إيّاهم. وذلك إمَّا بإنزال الشيء نفسه، كإنزال القرآن، وإمّا بإنزال أَسبابه والهداية إليه، كإنزال الحديد واللّباس[٥].

رغم أنَّ الأبحاث العلمية تشير إلى أنَّ الحديد ليس أرضيَّ المنشأ بل ينشأ في النجوم العملاقة ثم نتيجة انفجار تلك النجوم يتناثر في الفضاء[٦]، فسواء كان الأمر إنزالًا حقيقياً أم تذليلاً لأمر صعب ففيه تدخل إلهيٌّ لمعاونة البشر في أمر ماديٍّ.

ويبدو جلياً اتصال العلم الذي اختص به آدم عليه السلام وجنس البشر بالأرض والحياة على ظهرها؛ لأنَّه مخلوق لها ابتداءً، ومأمور باستثارتها وعمرانها، واستكشاف قواها وأسرارها، وكلِّ ما سخِّر له ومرتبط بهذه الحياة من السماء وما فيها من أفلاكٍ وشمسٍ ونجومٍ، والأرض وما

---

(١) معجم مقاييس اللغة (١/ ٤٢١).

(٢) سورة الاعراف: آية ٢٦.

(٣) مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ (١٤/ ٢٢١).

(٤) التحرير والتنوير(٢٣/ ٣٣٢).

(٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٦) عالم الصدفة، بول ديفز، ترجمة: فؤاد الكاظمي، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٧م (١٠٢-١٠٣).

داخلها من خيراتٍ وأسبابِ إدامة الحياة عليها، فلا بدَّ أن تتسع المعرفة الآدميَّة لتشتمل على علم الكون والحياة. وقد رُزِقَ الإنسان أسباب ذلك كلَّه بتميُّزه بعقلٍ سَؤول يجوب الآفاق، وفكرٍ باحثٍ بأدوات الحسِّ، والعقل قادرٌ على التَّعرُّف على خالقه من آياته المبثوثة في الكون(١).

ثم كان التدخل الإلهيُّ حاضراً كلما دعت الحاجة إليه ومنه أول حادثة قتل، وتعليم الإنسان دفن الموتى، قال الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾(٢)، من الملاحظ أنَّ قابيل كان مركِّزاً على مصيبته والفوضى التي أحدثها ولم يتنبه إلى التسخير الإلهيّ في بعث الغراب، الأمر الذي يتنبه له الأنبياء والصالحون في هكذا مواقف ويؤدون شكر النعم التي يُرزَقونها؛ بينما المنقطع عن الله لا يبصر المتفضِّل والمتنعِّم، وهذا ما يحاول الباحث إبرازه.

ومن ذلك أيضاً صناعة الفلك التي أوحى الله بها إلى نوحٍ عليه السلام ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(٣)، فعن ابن عباس ﷺ قوله: (واصنع الفلك بأعيننا ووحينا)، وذلك أنَّه لم يعلم كيف صَنعَةُ الفلك، فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جُؤجؤ الطائر(٤).

أو كذلك صناعة الدروع الحديديَّة التي علَّمها الله عزّ وجلّ لداود عليه السّلام، قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴾(٥)، المراد باللَّبوس هنا الدروع؛ لأنها تُلبس، وهو في اللُّغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها، وهو بمعنى الملبوس؛ كالجلوس والركوب(٦)، فأوَّل من صَنع الدُروع وسَردها وحلَّقها داود عليه السلام، وكانت من قبل صفائح، والدرع: يجمع الخفَّة والحصانة، فمع ازدياد بأس الإنسان

(١) ينظر: تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، دار الشروق-القاهرة، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م (١٧).

(٢) سورة المائدة: آية ٣١.

(٣) سورة هود: آية ٣٧.

(٤) تفسير الطبري، أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة- القاهرة، ٢٠٠١م (١٢/ ٣٩٢).

(٥) سورة الأنبياء: آية ٨٠.

(٦) لسان العرب (٦/ ٢٠٣).

بتحول البابليين والآشوريين إلى العصر الحديدي بحدود ١٢٠٠ق.م[١] كان البشر بحاجة ماسة إلى ما يخفف من هذه الشِّدة ويحفظ الإنسان من بأس أخيه الإنسان، فكان وحي الله تعالى لنبيه داود رحمة بالناس وحماية من شرِّ أخيه الإنسان.

ويسجل التاريخ البشريُّ الآلاف من الاكتشافات التي يطلق عليها «السرنديبية» أي المكتشفة بالصدفة بزعمهم، وفي المبحث التالي سأبين حقيقة العلم بين الصدفة والقصد.

(١) الإشارات العلمية في آيات الحديد في القرآن الكريم، شكرية اسماعيل جودة أبو سنينة، رسالة ماجستير في جامعة القدس الدراسات العليا / الدراسات الاسلامية المعاصرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م(٥٤).

المبحث الثاني
العلم التجريبيُّ بين القصد والصدفة

المطلب الاول: بين الفطرة والمنهج

للفطرة أكثر من معنى لغويٍّ واصطلاحيٍّ، ففي اللغة تأتي بمعنى البدء وتأتي بمعنى الخلق وتأتي بمعنى الطبع وتأتي بمعنى الإسلام، أو هي السُّنة، وقيل هي الميثاق الذي أُخذ على بني آدم(١).

المقصود بمصطلح الفطرة في هذا البحث: طبيعة الخلقة الإنسانيَّة المزودة بالذكاء وقابليَّة الإدراك ويمكن تسميتها بالتلقائيَّة(٢)، أمَّا المنهج فهو « فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إمَّا من أجل الكشف عن حقيقة مجهولة، أو البرهان لآخرين عن حقيقة معروفة»(٣)، فالمنهج إمَّا أن يخصَّ الكشف عن الحقيقة ويسمى تحليلًا أو اختراعًا، أو يخص تعليم الحقيقة ويسمى تركيبًا أو تأليفًا.

ومن البديهيِّ أنَّ الفطرة أو(التلقائيَّة)، سابقة للمنهج كما أقرَّ بذلك المناطقة فقالوا: (إنَّ عقلاً سليمًا يستطيع أن يصل إلى الحقيقة في نطاق البحث الذي يقوم به بدون أن يعرف قواعد الاستدلال)(٤) اعتمادًا على الفطرة السليمة، وما احتاج الإنسان إلى المنهج إلَّا بسبب اعتلال الفطرة، والدليل على ذلك: إنَّ الأمم في العراق ومصر وغيرهما، التي سبقت اليونان، كان لها من الحضارة والفكر ما يَتعجب منه العلماء المعاصرون دون أن ينقل عنهم معرفتهم المناهج العقليَّة وحتّى أمَّة اليونان سبق لها مئات السنين من الحضارة قبل معرفة قواعد المنطق والاستدلال، ولم يكتشفها ارسطو إلَّا بعد انتشار السفسطة واختلال الميزان العقليِّ الفطريِّ

(١) ينظر: لسان العرب (٥/ ٥٥-٥٩)، كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د ط، د ت (٧/ ٤١٧).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤/ ٢٧). المعجم الفلسفي، صليبا (٢/ ١٥٠).

(٣) مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية- مصر، ١٩٦٣م، (٤).

(٤) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د. علي سامي النشار، دار المعارف- القاهرة، ط٩ (١/ ٣٥).

لدى النَّاس[1].

ومثال آخر: فإن منهج النَّحو العربيِّ لم يكن العرب في حاجة إليه، إذ كان ينشأ عليه صغيرهم سليقة، بينما في زمن اختلال اللسان العربي بعد دخول الأعاجم في الإسلام احتاج النَّاس إلى منهجٍ لتقويم الخلل والرجوع إليه في تصحيح الخطأ في اللِّسان العربيِّ.

ويُعلم بالاستقراء والتجربة إنَّ الفطرة متقدمة على المنهج، وهي أصوب وأدقُّ منه، لأنَّها موجودة وفق قانون الخلق الإلهيِّ، أمَّا المنهج فهو اكتشافٌ بواسطة النَّظر والتدبُّر العقليِّ فهو ظنِّيٌ، لأنَّ النظرية هي كشف القانون الطبيعيِّ بعد الاطراد والتواتر في تكرار التفاعل مرة بعد أخرى.

إنَّ المعرفة عملية تراكميَّة، فالعقل يتبع المنهج ليضع قانونًا كليًا يجمع جزئياتٍ كثيرةٍ مطردةٍ، وهذه العمليَّة يطلق عليها (الفكر) والذي يعرَّف على أنَّه: (إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها... أو هي حركة النفس في المعقولات)[2]، وهي عمليَّة جبلِّية للعقل الإنسانيِّ السليم، أي أنَّ العقل متى ما وجِّه إلى جزئياتٍ متفرقةٍ يجد أمورًا مشتركةٍ بينها مستفيدًا من خبراتٍ سابقةٍ.

يقول الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِياءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسابَ ما خَلَقَ اللهُ ذلِكَ إِلاّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآياتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[3].

فبعد مراقبة الإنسان للأفلاك وانتظام دورانها المنتظم حيث إن الباري {قدره منازل} تمكَّن من اتخاذها موقِتا بتكرار نفس الحركة بانتظام في أوقاتٍ محسوبةٍ فكان الشهر القمريُّ بين ٢٩ و٣٠ يومًا بالنسبة للتقويم القمري وكان اليوم ٢٤ ساعةٍ والعام ١٢ شهرًا وهكذا الميلاديّ، يقول تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[4]. فالكون منظَّمٌ بخلق الله جل شأنه، والعقل مخلوقٌ ومهيئٌ ليدرك ويراقب بالحواسِّ فلا يبقى للإنسان إلَّا استعمالُ ما وُهب له بتوجيهه إلى التَّدبُّر والمراقبة والتَّفكُّر[5].

---

(١) ينظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، لجنة التأليف والترجمة والنشر- مصر، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م (٧-١٠).

(٢) المعجم الفلسفي(٢/ ١٥٤).

(٣) سورة يونس: آية ٥.

(٤) سورة التوبة: آية ٣٦.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير(١٠/ ١٨١)؛ التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار

يقول التفتازاني[١] -رحمه الله- في شرحه العقائد النسفيَّة عن الأسباب المؤدية للعلم: (والسبب المفضي في الجملة بأن يخلق الله تعالى فينا العلم معه [أي مع الادراك] بطريق جري العادة، ليشمل المدرك كالعقل، والآلة كالحسِّ، والطريق كالخبر، لا ينحصر في الثلاثة، بل هاهنا أشياء أخرى، مثلُ الوجدان والحدس والتجربة. ونظر العقل بمعنى ترتيب المبادئ والمقدمات)[٢]. فخلاصة القول: إنَّ الفطرة الإنسانيَّة متهيئة في أصل خلقتها إلى الإدراك، ولكن ظروف المحيط وشروطه والتواجد فيه والتنبُّه إلى الانتفا ع منه، هو حتمًا تدبيرٌ ربانيٌّ.

المطلب الثاني: القصد في العلم التجريبي

يعرف العلم التجريبيُّ بأنه: (بناءٌ لمعارف منظمة تختص بعناصر الكون وعوامله وطاقاته ومؤثراته)[٣].

ولم ينشأ العلم التجريبيّ منذ صياغة فرانسز بيكون[٤] لقواعده سنة ١٦٢٠م، بل سبق ذلك بقرون في بدايات الفكر الإسلاميّ عندما حاول المجتهدون ضبط اصول وقواعد علم استنباط الاحكام الفقهية للمستجدات، فبحثوا عن علة الحكم أو «المناط»، فانتهجوا ما يسمى بالسبر والتقسيم وهو في اصطلاح الأصوليين: حصر الأوصاف الموجودة في الأصل المقيس

الفكر- دمشق، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م(١١/ ١٠٩).

(١) مسعود بن عمر التفتازاني الإمام الكبير صاحب التصانيف المشهورة المعروف بسعد الدين، ولد بتفتازان في صفر سنة ٧٢٢ه وفاق في النحو والصرف والمنطق والمعاني والبيان والأصول والتفسير والكلام وكثير من العلوم، وتوفى يوم الاثنين الثاني والعشرين من شهر محرم سنة ٧٩٢ه. ينظر: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠ه) دار المعرفة – بيروت، (٢/ ٣٠٣).

(٢) شرح العقائد النسفية ، أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد ، سعد الدين التفتزاني (ت: ٧٩٢ه) تحقيق: أحمد حجازي السقا، مطبعة مورافتلي-مصر،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م (١٥).

(٣) تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الاسلامية، أحمد الصفدي، المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب- الرياض، ١٩٩١م، (٨٢).

(٤) فرانسز بيكون: (١٥٦١- ١٦٢٦م) فيلسوف بريطاني ولد في لندن كان قريبا من دائرة الملك، وضع دائرة معارف واسعة بنيت على اساس الملاحظة التجريبية والمنهج الاستقرائي، عارض ثقافة القرون الوسطى وقصد إلى وضع الطبيعة في خدمة الانسان، كان مولعًا بالعلم والسلطة. ينظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة- بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م(٢٢٦).

عليه، وإبطال ما لا يصلح منها للعِلِّية، فيتعين الباقي علَّةٍ[1].

وقسم على ثلاثة أقسام:

- تحقيق المناط.
- تنقيح المناط.
- تخريج المناط.

وللوصول إلى العلَّة اتبعوا منهج الاستقراء، أمَّا القياس الأصوليُّ عند المسلمين فيختلف عن القياس الأرسطي؛ لأنَّه انتقالٌ من حالةٍ جزئيَّةٍ إلى حالةٍ جزئية أخرى لوجود جامعٍ بينهما بواسطة تحقيق علمي، وهو يرجع إلى استقراءٍ دقيقٍ قائمٍ على قانونين، الأول: قانون العلِّيَّة- أي أنَّ لكلِّ معلولٍ علَّة- فيبحث عن علَّة الحكم في الأصل، والثاني: قانون الاطراد –أي اطراد العلَّة- فحيث وجدت الظروف المتشابهة أنتجت معلولًا متشابهًا[2]، ولأنَّ العلم التجريبي انتقال من اطِّراد الجزئيات إلى الكليات، والجزئيات كثيرة وغير منضبطة ابتداءً فإنه لا يُعلم عند تغير ظروف التجربة ما الذي سيتغير في النتائج لذا فإنَّ النتائج غير مقصودة لدى الباحث ابتداءً وإنَّما الموجِّه له هو النظريّ أو الفرضيات[3].

إنَّ معظم الاكتشافات العلمية التجريبية حدثت بسبب تغيرٍ غير مقصودٍ في شروط التجربة أو مشاهدةٌ لظاهرةٍ عرضيَّةٍ حدثت أثناءها، والمسألة المحورية في هذا الخصوص هو تواجد المراقب غير المقصود في زمان ومكان الرصد. ومن هنا يتحدد التدخل الغيبي في الاكتشاف، وهو ما يوضحه القرآن الكريم بصورةٍ قطعيَّة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾[4]، فالإرادة الإلهية حاضرة ومعللة في تعليم الإنسان، وليس للمكتشف دور إلا توافق وجوده في محل التجربة.

---

(١) ينظر: المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م(٣١١)؛ إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ) تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا دار الكتاب العربي ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م(٢/ ١٢٥).

(٢) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام (١/ ٣٩-٤٠).

(٣) ينظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٦، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م(٢٥-٢٦).

(٤) سورة المائدة: آية ٣١.

المطلب الثالث: الصدفة في العلم أو السرنديبية

إنَّ اكتشاف علماء الفيزياء والطبيعة العديد من الثوابت الكونية، والتي تمثل نسبًا غايةً في الدقَّة بين مكونات هذا الكون، جعلتهم يعيدون النظر بافتراض الصدفة في وجوده، وإنَّ الدقة المتناهية والمعجزة في تركيب هذا الكون ليكون مناسبًا لوجود حياة على ظهر الأرض - فضلا أن تكون حياة واعية- لهو أمر أبعد ما يكون عن الصدفة(١).

إنَّ معرفة صفة (الحكيم) أو الحكمة المطلقة لله تعالى، توجب على العبد إيماناً بالنظام المحكم الذي وضعه الخالق سبحانه وتعالى في خلقه، وذلك النظام الدقيق لا يترك مجالًا للصدفة، يقول جل شأنه: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾(٢)، فجميع أحداث الكون لا تخرج عن التقدير الحكيم، ويدخل فيها عمل المخلوق المخير والحر في اختياره.

يقول تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا (١٨) وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا (١٩) كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠) انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾(٣).

فالله سبحانه وتعالى يمد الكافر من عطائه وهو يريد الدنيا كما يمد المؤمن الذي يريد الآخرة، وأن مساعدة طالب الدنيا لا يشترط معها إيمانٌ أو رضا الله(٤)، وهذا الإمداد ليس بالذي يُستوجب بالسعي والعمل؛ بل بمحض التفضل وبموجب المشيئة المبنية على الحكمة وإن وجد فيه ما يقتضي الحظر كالكفر، وهذا في معنى التعليل لشمول الإمداد للفريقين، والتعرض لعنوان الربوبية للإشعار بمبدئيتها لكل من الإمداد وعدم الحظر(٥)، وهذا فيه إظهارٌ لصفة الاستغناء عن الخلق، فالله هو الغني، ففي الحديث القدسي الذي يرويه أبو ذر الغفاري عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: (يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ

(١) ينظر: عالم الصدفة (١٦٠).
(٢) سورة القمر: آية ٤٩.
(٣) سورة الاسراء: آية ١٨-٢١.
(٤) ينظر: مفاتيح الغيب، (٢٠/ ٣١٦)،
(٥) ينظر: روح المعاني (٨/ ٤٦)

مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ)[1].

إنَّ كثيرًا من العلماء الذين اكتشفوا مسائل علميَّة « بالصدفة» ينسبون اكتشافاتهم بزعمهم إلى دور الحظ في اكتشافاتهم، وهم يعتقدون أن هذه النسبة لا تقلِّل من الفضل الذي يُنسَب إليهم في صنع اكتشافاتهم، يقول لويس باستير[2]، صاحب الاكتشافات المتميزة في مجال الكيمياء والاحياء المجهرية والطب: (في مجال العلوم، المصادفة لا تواتي إلا العقول المستعدة)[3].

ويقول بول فلوري[4] الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء ١٩٧٤م: (إن الاختراعات المهمة لا تتم بمحض المصادفة، والاعتقاد الخاطئ بأنها تتم على هذا النحو سائد على نحو كبير، وللأسف لم تَقُم الدوائر العلمية والفنية بجهد كبير للتصدي لهذا الاعتقاد. في واقع الأمر، عادةً ما يكون للمصادفة دورٌ في الاكتشاف، لكن ثمة جوانب كثيرة متضمنة في عملية الاختراع أكثر من الاعتقاد الشائع بحدوث مصادفة مفاجئة؛ فالمعرفة العميقة والواسعة من المتطلبات الأساس، وإن لم يكن العقل مستعِدًّا مسبقًا استعدادًا تامًّا، فربما لن تجد شرارة

(١) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (٢٠٦ - ٢٦١ هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ١٩٥٥م، كتاب الصلة والبر والآداب، باب: تحريم الظلم، برقم(٢٥٧٧)(٤/ ١٩٩٤).

(٢) ولد لويس باستور عام ١٨٢٢م هو عالم كيمياء فرنسي وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب. ساهمت اكتشافاته الطبية بتخفيض معدل وفيات حمى النفاس وإعداد لقاحات مضادة لداء الكلب والجمرة الخبيثة، عرف لدى العامة لمعالجة الحليب لمنعها من التسبب في المرض، أطلق عليها لاحقا مصطلح البسترة. توفي عام ١٨٩٥م. ينظر: موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

(٣) السرنديبية اكتشافات علمية وليدة الصدفة، رويستون إم روبرتس، ترجمة : مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي- المملكة المتحدة (١٦).

(٤) بول جون فلوري: (Paul John Flory) كيميائي أمريكي ولد في١٩ يونيو ١٩١٠م حاصل على جائزة نوبل في الكيمياء لسنة ١٩٧٤.عمل في مجال البوليمر. تخرج من جامعة مانشستر سنة ١٩٣١، دكتوراه من جامعة أوهايو سنة ١٩٣٤،عمل في جامعة ستانفورد من سنة ١٩٦١ حتى تقاعده سنة ١٩٧٥عمل بعد ذلك مستشارا لشركة آي بي إم. توفي في سنة ١٩٨٥ في كاليفورنيا إثر أزمة قلبية. ينظر: موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

العبقرية الشهيرة - إذا وجب أن تُعرِب عن نفسها - شيئًا تُشعله أو تستثيره)[1].

فالاستعداد العقلي المسبق إنَّما هو الفطرة الأصلية، أمَّا شرارة العبقريَّة فهي الهِبَة الربانيَّة المحضة.

(١) السرنديبية اكتشافات علمية وليدة الصدفة (١٥-١٦).

الخاتمة

بتوفيق الله وفضله أتممت هذا البحث، وقد توصلت إلى النتائج الآتية:

١- إنَّ الله تعالى قد أحكم خلقه من الموجودات غاية الإحكام، وأودع فيها من السنن والقوانين ما يجعل إمكان وجود المخلوق واستمراريته قائمة فيه.

٢- إنَّ مسألة رؤية دلائل رحمة الله تعالى وتدخله في تعليم خلقه، لا تحتاج إلا إلى حواس سليمة ونفس متجرِّدة تواقة لمعرفة الحق والتسليم له.

٣- إنَّ العلم الغربي الذي يريد أن يخفي حقيقة الغيب لا يجد له تفسيرًا لكثير من الظواهر الطبيعية فيهرب إلى تأويلات غير علميَّة ولا عقلانيَّة.

٤- من رحمة الله تعالى بالإنسان إقامة الحجج المتعددة والمتجددة له والتي عليها يؤمن ويخضع من يطلب الحق، يقول تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيد﴾ [فصلت: ٥٣].

٥- إنَّ الله تعالى يهيئ لكل عصر من الخلق ما يعين البشر على قيام الحياة الكريمة وكلما أحدث الإنسان ضررًا وفتنةً أظهر الله سبحانه ما يرفع به ذلك الضرر عن خلقه.

٦- عجز الفكر الغربي عن تفسير اكتشافاته، وتناقضه أحيانًا في نسبة الاكتشاف إلى الصدفة، أو السرنديبية.

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم.

١. الإشارات العلمية في آيات الحديد في القرآن الكريم، شكرية اسماعيل جودة أبو سنينة، رسالة ماجستير في جامعة القدس الدراسات العليا / الدراسات الاسلامية المعاصرة، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) دار المعرفة – بيروت.

٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤. التحرير والتنوير، أو تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤هـ.

٥. تراثنا الفكري في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، دار الشروق-القاهرة، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٦. تصنيف المعرفة والعلوم في ضوء خصائص الأمة الاسلامية، أحمد الصفدي، المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب- الرياض، ١٩٩١م.

٧. تفسير الطبري، أو جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ) تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة- القاهرة، ٢٠٠١م.

٨. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبة الزحيلي، دار الفكر- دمشق، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٩. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ) تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م

١٠. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي(ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م.

١١. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (ت ٩٢٦هـ) تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر - بيروت، ١٤١١هـ.

١٢. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤١٥هـ.

١٣. زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت – ١٤٢٢هـ.

١٤. السرنديبية اكتشافات علمية وليدة الصدفة، رويستون إم روبرتس، ترجمة : مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي- المملكة المتحدة.

١٥. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الاسلامية، د. عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة-بيروت، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

١٦. شرح العقائد النسفية ، أبو سعيد مسعود بن عمر بن محمد ، سعد الدين التفتزاني (ت: ٧٩٢هـ) تحقيق: أحمد حجازي السقا، مطبعة مورافتلي-مصر،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

١٧. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي(ت: ٢٥٦هـ) تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، ودار اليمامة – دمشق، ط٥، ١٩٩٣م.

١٨. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه- القاهرة، ١٩٥٥م.

١٩. عالم الصدفة، بول ديفز، ترجمة: فؤاد الكاظمي، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد، ١٩٨٧م.

٢٠. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٨، ٢٠٠٥ م.

٢١. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، د ت.

٢٢. كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، عبد الوهاب بن إبراهيم أبو سليمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط٦، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٢٣. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت ١٠٩٤هـ) تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت.

٢٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) دار صادر – بيروت، ط٣ - ١٤١٤هـ .

٢٥. معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري [كان حَيًّا ٣٩٥ هـ]، وجزءًا من كتاب «فروق اللغات» لنور الدين بن نعمة الله الجزائري (ت ١١٥٨ هـ)مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ (قُمّ)، ١٤١٢ هـ .

٢٦. معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، دار الطليعة- بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.

٢٧. المعجم الفلسفي، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م.

٢٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٢٩. مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ) دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٣٠. مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة العربية-مصر، ١٩٦٣م.

٣١. نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام، د. علي سامي النشار، دار المعارف- القاهرة، ط٩.

٣٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت، ١٩٧٩م.

٣٣. المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م

٣٤. إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ) تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر بطنا دار الكتاب العربي ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

References :

The Holy Quran.

1. Al-Isharat al-Ilmiyyah fi Ayat al-Hadid fi al-Quran al-Karim, Shukriya Ismail Joudah Abu Sunaina, Master's Thesis, Al-Quds University, Graduate Studies / Contemporary Islamic Studies, 1430 AH - 2009 AD.

2. Basair Dhawi al-Tamyeez fi Lata'if al-Kitab al-Aziz, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad bin Yaqub al-Firuzabadi (d. 817 AH), Edited by: Muhammad Ali al-Najjar, Supreme Council for Islamic Affairs - Committee for Reviving Islamic Heritage, Cairo, 1416 AH - 1996 AD.

3. Al-Tahrir wa al-Tanwir, aw Tahrir al-Ma'na al-Sadeed wa Tanweer al-Aql al-Jadeed min Tafsir al-Kitab al-Majeed, Muhammad al-Tahir bin Muhammad bin Muhammad al-Tahir bin Ashour al-Tunisi (d. 1393 AH), Tunisian Publishing House – Tunisia, 1984 AD.

4. Turathuna al-Fikri fi Meezan al-Shar' wa al-Aql, Muhammad al-Ghazali, Dar al-Shorouk - Cairo, 5th ed., 1424 AH - 2003 AD.

5. Tasneef al-Ma'rifah wa al-Uloom fi Daw' Khassais al-Ummah al-Islamiyyah, Ahmed al-Safadi, Arab Center for Security Studies and Training - Riyadh, 1991 AD.

6. Tafsir al-Tabari, or Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ay al-Quran, Abu Ja'far Muhammad bin Jarir al-Tabari (d. 310 AH), Edited by: Dr. Abdullah bin Abdul Mohsin al-Turki, Dar Hijr for Printing - Cairo, 2001 AD.

7. Al-Tafsir al-Muneer fi al-Aqeedah wa al-Shari'ah wa al-Manhaj, Wahbah al-Zuhaili, Dar al-Fikr - Damascus, Dar al-Fikr al-Mu'asir - Beirut, 1st ed., 1411 AH - 1991 AD.

8. Tafsir al-Nasafi (Madarik al-Tanzil wa Haqa'iq al-Ta'wil), Abu al-Barakat Abdullah bin Ahmed bin Mahmoud Hafiz al-Din al-Nasafi (d. 710 AH), Edited by: Yusuf Ali Badiwi, Dar al-Kalam al-Tayyib, Beirut, 1419 AH - 1998 AD.

9. Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an, Abu Abdullah, Muhammad bin Ahmed al-Ansari

al-Qurtubi (d. 671 AH), Edited by: Ahmed al-Bardouni and Ibrahim Atfayish, Dar al-Kutub al-Misriyyah - Cairo, 2nd ed., 1964 AD.

10. Al-Hudood al-Aniqah wa al-Ta'areefat al-Daqeeqah, Zakariya bin Muhammad bin Ahmed bin Zakariya al-Ansari, Zayn al-Din Abu Yahya al-Sunikki (d. 926 AH), Edited by: Dr. Mazen al-Mubarak, Dar al-Fikr al-Mu'asir - Beirut, 1411 AH.

11. Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Quran al-Azim wa al-Sab' al-Mathani, Shihab al-Din Mahmoud bin Abdullah al-Husseini al-Alusi (d. 1270 AH), Edited by: Ali Abdul Bari Atiyah, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1415 AH.

12. Zad al-Maseer fi 'Ilm al-Tafsir, Jamal al-Din Abu al-Faraj Abdul Rahman bin Ali bin Muhammad al-Jawzi (d. 597 AH), Edited by: Abdul Razzaq al-Mahdi, Dar al-Kitab al-Arabi - Beirut, 1422 AH.

13. Al-Serendibiyyah: Iktishafat Ilmiyyah Walidat al-Sudfah, Royston M. Roberts, Translated by: Mustafa Muhammad Fouad, Hindawi Foundation - United Kingdom.

14. Al-Sunan al-Ilahiyyah fi al-Umam wa al-Jama'at wa al-Afraad fi al-Shari'ah al-Islamiyyah, Dr. Abdul Karim Zaidan, Al-Risalah Foundation - Beirut, 1413 AH - 1993 AD.

15. Sharh al-'Aqeedah al-Nasafiyyah, Abu Sa'id Mas'ud bin Umar bin Muhammad, Sa'd al-Din al-Taftazani (d. 792 AH), Edited by: Ahmed Hijazi al-Saqqa, Moravtly Press - Egypt, 1407 AH - 1987 AD.

16. Sahih al-Bukhari, Abu Abdullah Muhammad bin Ismail al-Bukhari al-Ju'fi (d. 256 AH), Edited by: Dr. Mustafa Deeb al-Bugha, Dar Ibn Kathir, and Dar al-Yamamah - Damascus, 5th ed., 1993 AD.

17. Sahih Muslim, Abu al-Husayn Muslim bin al-Hajjaj al-Qushayri al-Nisaburi (d. 261 AH), Edited by: Muhammad Fouad Abdul Baqi, Isa al-Babi al-Halabi Press and Partners - Cairo, 1955 AD.

18. Alam al-Sudfah, Paul Davies, Translated by: Fouad al-Kadhimi, Dar al-Shu'oon al-Thaqafiyyah al-Ammah - Baghdad, 1987 AD.

19. Al-Qamus al-Muhit, Majd al-Din Abu Tahir Muhammad bin Yaqub al-Firuz-abadi (d. 817 AH), Edited by: The Heritage Editing Office at Al-Risalah Foundation, Supervised by: Muhammad Naeem al-Arqasusi, Al-Risalah Foundation - Beirut, 8th ed., 2005 AD.

20. Kitab al-'Ayn, Abu Abdul Rahman al-Khalil bin Ahmed bin Amr bin Tamim al-Farahidi al-Basri (d. 170 AH), Edited by: Dr. Mahdi al-Makhzoumi, Dr. Ibrahim al-Samarrai, Dar wa Maktabat al-Hilal, undated.

21. Al-Kulliyyat: Mu'jam fi al-Mustalahat wa al-Furuq al-Lughawiyyah, Ayyub bin Musa al-Husseini al-Quraymi al-Kafawi, Abu al-Baqa' al-Hanafi (d. 1094 AH), Edited by: Adnan Darwish - Muhammad al-Masri, Al-Risalah Foundation - Beirut.

22. Lisan al-Arab, Muhammad bin Makram bin Ali, Abu al-Fadl, Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari al-Ruwaifi'i al-Ifriqi (d. 711 AH), Dar Sader - Beirut, 3rd ed., 1414 AH.

23. Mu'jam al-Furuq al-Lughawiyyah, A compilation of Kitab Abi Hilal al-Askari [who was alive in 395 AH], and part of Furuq al-Lughat by Nur al-Din bin Na'mat-ullah al-Jazairi (d. 1158 AH), Islamic Publishing Institute of the Teachers' Group in Qom, 1412 AH.

24. Mu'jam al-Falasifah, George Tarabishi, Dar al-Tali'ah - Beirut, 3rd ed., 2006 AD.

25. Al-Mu'jam al-Falsafi, Jamil Saliba, Dar al-Kitab al-Lubnani, 1982 AD.

26. Mu'jam Maqayis al-Lughah, Ahmed bin Faris bin Zakariya al-Qazwini al-Razi, Abu al-Husayn (d. 395 AH), Edited by: Abdul Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH - 1979 AD.

27. Mafatih al-Ghayb or Al-Tafsir al-Kabir, Abu Abdullah Muhammad bin Umar bin al-Hasan bin al-Husayn al-Taymi al-Razi, known as Fakhr al-Din al-Razi (d. 606 AH), Dar Ihya al-Turath al-Arabi - Beirut, 3rd ed., 1420 AH.

28. Manahij al-Bahth al-Ilmi, Abdul Rahman Badawi, Dar al-Nahda al-Arabiyyah

- Egypt, 1963 AD.

29. Nash'at al-Fikr al-Falsafi fi al-Islam, Dr. Ali Sami al-Nashar, Dar al-Ma'arif - Cairo, 9th ed.

30. Al-Nihayah fi Gharib al-Hadith wa al-Athar, Majd al-Din Abu al-Sa'adat al-Mubarak bin Muhammad bin Muhammad bin Muhammad bin Abdul Karim al-Shaybani al-Jazari Ibn al-Ath

31. Al-Mustasfa, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad al-Ghazali al-Tusi (d. 505 AH), Edited by: Muhammad Abdul Salam Abdul Shafi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, 1413 AH - 1993 AD.

32. Irshad al-Fuhul ila Tahqiq al-Haqq min 'Ilm al-Usul, Muhammad bin Ali bin Muhammad bin Abdullah al-Shawkani al-Yamani (d. 1250 AH), Edited by: Sheikh Ahmed Izzou 'Inayah, Damascus - Kafr Batna, Dar al-Kitab al-Arabi, 1419 AH - 1999 AD.